الرجة النفسية

سوف أبدأ هذا الباب بقصة امرأة مُتزوجة ولها أطفال تشعر بقلق واضطراب وحيرة وتردد، وتزداد حالتها سوءًا إذا رأت شعر أحد الناس محلولًا، وهي إذا كانت تأكل مثلًا ورأت أحَدا أمامها يأكل في طعام، ثم سقطت شعرة في الأكل سرعان ما ينتابها مغص شديد وأحست أمعاءها تضطرب وتشتد حالتها ألمًا وانتابها اصفرار شديد، وتخشى أن تفقد رشدها وتسقط مغمى عليها، على أن أهم ما يُثير أعصابها إنما الخوف من أن ينتهي بها الطريق إلي الجُنون، وبالتالي يُؤدي بها الجنون إلى أن تلقي الأواني التي أمامها في وجوه الناس الذين يكونون أمامها أو أن تسرع إلى النافذة فتلقي بنفسها منها وينتهى بها المطاف إلى الانتحار.

ولقد قالت لي بأنها ترحب بالجنون وأنها تُريد أن تعرف مدى نظرة الناس لها وهي مجنونة، ففي ذلك يثير اهتمامها ويبعث النشوة إلى قلبها.

وعندما بدأت معها قصة التحليل والعلاج قالت لي إنها تحس أنها بلهاء غبية وأن عقلها ينقصه الذكاء العادي، وكانت تتساءل عن مدى ما يُقدمه طبيب إلى امرأة غبية، فعلاج الأغبياء لا يجدي في شيء، خصوصًا وأن الغبي لا يفهم أو يدرك أو يُميز شيئًا عما يدور حواليه، ثم راحت تُؤكد لي بأن مُحاولاتي معها لن تجدي شيئًا ولن يتقدم بها العلاج خطوة واحدة.

الواقع أن اعتقادها بأنها غبية بلهاء –كان له أثر كبير في علاجها – فقد أوحت إلى نفسها أن تكون غبية بلهاء وراحت تُمثل الدور الذي يدل على جمود الذهن لتقنعني بصحة ما تقول – هذا الاعتقاد – مرض آخر علينا أن ننتزعه من ذهنها، على أن مرد هذا الاعتقاد التعلق الشديد بالمرض والتمسك الشديد به وعدم الميل إلى الشفاء والتمادي في الألم والمُبالغة في الاحتماء فيه.

وعلى بساط البحث عن حياتها الماضية تمكنت أن أدرك سبب العلة التي كانت توحي لها بالبلاهة والغباء وأن هذه العلة مدفونة في الماضي البعيد، فقد حدث لها وهي طفلة أن كانت تسير في أحد أزقة القُرى فرأت طفلًا، يعري نفسه أمام بعض النساء، وكان يلوح على الطفل سيماء البلاهة والغباء، وكان موضع سخرية الأطفال الآخرين الذين كانوا يشيرون إليه في استهزاء.

وفي ارتمائها في أحضان البلاهة والغباء إنما تُحاول تمثيل الدور الذي كان يلعبه هذا الطفل الغبي، فكأن البلاهة في ذهنها تعفيها من المسئولية، وهي دائبة الشك في كل ما يحيط بها، ولقد امتددت شكواها حتى شملت نفسها فكانت تتساءل فيما لو أنها عملت شيئًا كان من شأنه أن يسئ إليها وإلى سمعتها، كما كانت تتشاءم من المستقبل المُعتم أن يضل بها الطريق فتأتي أمرًا سيئًا.

ولقد دلتني دراستي لها أن ماضيها لونه، فقد زلت قدمها مرة فكانت فريسة لذئب، ومع أنه مضى على هذه الحادثة أكثر من عشرين عامًا، ومع أنها نسيتها إلا أنها ظلت راسخة في العقل الباطن.

وقد ارتدت آثار تلك الفعلة على حياتها الراهنة في لون من الشك، فكأن شكوكها في ماضيها كانت نوعا من الندم والتوبة وطلب الغفران، أما شكوكها في المستقبل فخوف من العودة إلى الزلل.

ولفتة أُخرى على حياتها ونحن على بساط البحث في نفسيتها نجد أن هذه المرأة تتنازعها رغبتان: الرغبة في أن تعيش شريفة مُنزهة عن الخطايا، والرغبة في أن تشبع نفسها من الحياة ومن الوجود، وأمام هاتين الرغبتين كانت حياتها مسرحًا للاضطراب، وقد بدا هذا الاضطراب في رغبتها أن تلقي بنفسها من النافذة؛ ففي ذلك معنى لأن تلقي بنفسها إلى الأماكن الواطئة، أعني أنها تُريد أن تهبط إلى ما هو دون الإنسانية وتشرب من الكأس الرخيص.

أما الجنون الذي يحدوها فذلك لأن الجنون يهدف إلى التخلص من المسئولية، فالمرأة المجنونة التي تأتي عملًا مُشينًا امرأة غير مسئولة، وفي الجنون إشباع للنزعات الدفينة التي تعيش في أعماق اللاشعور، ويحدو هذه السيدة رغبة بأن تلقي بالأطباق التي أمامها في وجوه الجالسين.

ومعنى ذلك أن هذه المرأة تعيش في كبت، ولقد جال في ذهنها أن الذين يحرمون عليها النور الأحمر هم الناس الذين يعيشون حولها مما يخامر

ذهنها من ميل إجرامي مرده الضغط الذي يفرضوه عليها، فكأن الغيظ من تقاليدهم والكراهية منهم هو الذي أودى بها إلى أن تتمنى لهم الزوال، وبالتالي ارتد هذا الشعور على نفسها فباتت تضمن السوء لهم، وأزاح لنا التحليل النفسي الستار عن قصة الشعر الذي يشيع في نفسها الحزن والألم، وأن مرد ذلك يعود إلى الماضي العميق الذي يرسب في قاع نفسها.

وتتلخص قصة الشعر في أنه حدث أن كانت تجلس هذه المرأة في حديقة دارها وكان ابن أختها يلعب في الحديقة فوجد سُلمًا خشبيًا فراح يحمله من مكان إلى آخر يتنقل عليه، وكانت تنظر إليه بشيء من الحسد فتصادف أن سقط السلم على الطفل وأعمل فيه جرحًا كبيرًا في رأسه فانفجر الدم بغزارة وأغمى عليه، ولم تطق المرأة هذا المنظر فأغمى عليها هي الأخرى، ولما استفاقت وجدت نفسها ترقد في السرير والحمى تأكل جسمها فراحت تلوم نفسها على نظراتها المسمومة بالحسد والغيرة للطفل الصغير مما أدى إلى سقوطه وإصابته.

شأن هذه المرأة شأن كل العصبيين الذين يعتقدون أن لهم مقدرة خفية في إنزال اللعنات على الذين يكرهونهم، فلو أنها كانت أكثر عطفًا مع الطفل الصغير لما تسببت في ضرره، ومن ثم راحت تُؤاخذ نفسها على جمود قلبها وانعدامه من الحنان.

وبمرور الزمن تغير مظهر السلم في ذهنها المريض وفي ذاكرتها وحل محلها خيال من خطوط مُتوازية ترمز إلى السلم، ثم تطورت تلك الخطوط

المُتوازية في ذهنها إلى الشعر، ومن هنا بات منظر الشعر مما يثير أعصابها ويبعث الخوف إلى نفسها لأن مرده السلم والخطر الذي تسبب فيه جرح الطفل.

ولقد دلنا التحليل النفسي أيضًا أن هذه المرأة كانت في طفولتها شديدة التعلق بأبيها، كما أظهر التحليل أيضًا أن هذا التعلق بأبيها كان مما يقلقها فتمنت له الموت حتى تتخلص من هذا التعلق، فلما مات فعلًا اضطربت حالتها النفسية فقد اعتقدت أن السماء تستجيب لها وأن موته كان جراء تمنياتها، وبذلك راحت تُؤاخذ نفسها وتلومها واعتقدت في نفسها أنها امرأة شريرة تبحث عن الشر فكرهت نفسها وبغضتها وراحت تتمنى لها الموت جزاء ما اقترفته ضد أبيها ومن ثم بدت النزعات الإجرامية في صورة رغبتها في الانتحار.

ولقد كانت طفولتها مع أمها مملوءة بالصدمات النفسية، فقد دأبت أمها على مُعاقبتها أمام الملأ إذا أتت جرمًا فكانت تأمرها بأن تركع ساعات على ركبتيها مواجهة للحائط وأن ترفع يدها إلى أعلى، وبالطبع كان مرد هذه القسوة أن أضمرت الابنة الكراهية لأُمها فباتت تنظر إليها نظرة المظلوم الذي ينتظر الفرصة بغريمه، ومن ثم راح يخاطر ذهنها صور الانتقام منها فكرهتها وتمنت زوالها من الوجود.

وقد خلقت هذه المُعاملة القاسية في قلب الابنة الميول الماسوشية، أعني أن أُمها قتلت فيها روح الكرامة والإباء ووضعت في نفسها بذور

الذلة والضعة والانحطاط، فلما كبرت ارتدت تلك النزعات على نفسيتها فباتت تبحث عن الأساليب التي ترى فيها وسائل التعذيب لنفسها، ومن هُنا تمنت الموت لنفسها لأن الموت لها هو أكبر أنواع التعذيب.

وكان لهذه المريضة أخت، على غرارها كانت باسمة مُتلألئة سعيدة في زواجها، ولقد كانت مريضتنا تنظر إلى زوج أختها بشيء من الظن، فقد رسخ في ذهنها أن زوج أختها غير مُخلص لزوجته، فكانت تتحداه من أجل خيانته التي تتصورها.

أما مرد ذلك التحدي ففي الواقع لما يجيش في قلب هذه المريضة من الغيرة لأختها فقد كانت تحسدها لتوفيقها في الحياة وفي الزواج.

وثمة سبب آخر للنزاع مع زوجة الأخت ذلك أن هذه المريضة كانت شديدة التعلق بأختها، فكأن التحدي جاء نتيجة الغيرة عندما ترى أُختها تُبادل زوجها الحب دون أن تشركها في شيء من عواطفها. وكان ينتابها ميل شديد للاستحواذ على حاجيات أختها، هذا الميل فيه معنى الارتداد نحو الطفولة، فالأطفال الصغار أنانيون بالطبع يميلون للاستحواذ على كل شيء تقع عليه أعينهم، وهذه المريضة، وإن كبرت إلا أن أحداث الطفولة ظلت عالقة بذهنها، فكانت تميل للاستحواذ على أشياء أختها لتشبع ميول الطفولة الساذجة في ذهنها، وثمة سبب آخر لهذه الأنانية هو أن هذه المريضة كانت كثيرة التفكير في زوج أختها فكانت تنتابها الغيرة عندما يأتي من الخارج حاملًا معه الهدايا، وكان هذا الميل للاستحواذ على أشياء أُختها

بمثابة إشباع للرغبة الدفينة في نفسها للحصول على الأشياء التي عجزت عن الحصول عليها باللين.

ولقد تمنت الموت لأختها وزوجها فكانت تتصورهما وهما في سبات عميق، هذا التمني مرده الحرمان من السعادة، فهي شقية في حياتها، ومن أجل ذلك تمنت الشقاء للناس جميعًا حتى يتساووا معها.

ولقد حدث مرة أن مرض أخوها فحدثتها أمها عن حزنها وأخبرتها بأن مرض أخيها قد يشتد عليه مما قد يُؤثر على حياته القادمة ويحرمه من الزواج في مستقبله فانتاب المريضة شيء من السعادة لأنها وجدت في المرض والحرمان شيء من الرغبة التي تجيش في نفسها من طلب الشفاء للناس جميعًا.

ولما توفي أبوها تولى ابنه (شقيقها) أمر المتجر الذي كان يملكه الوالد وبالتالي ازداد نفوذه عليها فقد بات أشبه بالوصي عليها.

وكانت إذا راحت تتحدث إليه عن أحزانها النفسية أغلق باب الكلام لأنه كان يعتقد أن أمراضها هوس مُفتعل يجب أن تقلع عنه مما أدى إلى زيادة الضغينة، فكرهته وتمنت موته ودعت الله أن يضع "الشعيرات" في طعامه حتى تنتهي حياته وتتخلص منه، وتشاء الصدف أن يمرض أخيها فعلًا ثم يموت، فانتاب المريضة ألم شديد لأنها اعتقدت أن الله قبل دعوتها فاستيقظ ضميرها وراح يُؤنبها بشدة على سوء تصرفها، فكانت تقضي ليلها ساهرة في فراشها تنتحب بشدة، وطبعًا ازدادت حالتها العصبية توترًا

وازدادت حالة الانهيار النفسي سوءًا، وبموت أخيها اعتقدت بأن لها قوة خارقة مُنزلة من السماء، وأن لها سلطانا كبيرا في هذه الدنيا تستمد جبروته من الله مباشرة، كما ازداد إحساسها بنفسها أنها تنطوي على الشر وحب الجريمة.

وطبعًا عبس وجهها وغاصت منه البسمات وأصبحت صورة جامدة للنفس العنيفة، وكانت تثور إذا رأت أمها تبتسم أو تضحك أو رأت أختها تداعبها الحديث، ولقد حدث مرة أن جاءت سيرة أخيها الميت أمام أحد الضيوف فأظهر الموجودون حينذاك أسفهم للوفاة، ثم راحوا يتحدثون عن أسباب الوفاة وتقارير الأطباء فانتابتها أزمة قلبية وسقطت مغمى عليها ولم تستفق من غفوتها إلا في اليوم التالي.

ولما تزوجت المرأة لم تجد السعادة التي كانت تنتظرها، فقد عاشت مع زوجها في جمود وحرمان من التجاوب العاطفي، ومما زاد في تعاستها أن زوجها كان ضعيف الجاه والنفوذ ضئيل الدخل، فكان عليه وعليها أن يُكافحان في الحياة في صبر طويل وشقاء مُستمر.

وكان في كل هذه العوامل مُجتمعة ما مزق الهدوء في دارها الجديدة وكما كان الزواج تجربة خاطئة في نظرها كان أيضًا كابوسًا مُزعجًا في نظر الزوج، فكان الزوج يعيش في ركن مُظلم بينما الزوجة تعيش في ركن آخر أشد ظلامًا.

ومما زاد الطين بلة أن هذه المريضة عاشت مع والدها فرأت في والدها صورة لما يكون عليه زوجها المُقبل؛ فلما تزوجت من رجل تعوزه دقة الحياة لا يقيم وزنًا لمطالبها أو مطالب بيتها، سقطت من عينها الصورة المثالية التي كانت تتمناها في الزوج. وانهار أمامها الخيال الذي بنته في عهد الطفولة، ومن ثم ازدادت حالتها سوءًا واشتدت بها الاضطرابات والأمراض.

وطبعا اجتمعت تلك العُقد النفسية على قلبها حتى باتت غير قادرة على احتمال هذه الأمراض، ووجدت الشكوك والأوهام سبيلًا إلى نفسها وبات زوجها في الحلقة تحت الضوء فراحت تصب عليه كل انفعالاتها النفسية، فكانت تتمنى أن تلقي بقطع الزجاج على المارة حتى يقع زوجها تحت المسئولية ثم راحت تُفكر في كل ما من شأنه أن يبعث الشر إلى زوجها.

إن علاج هذه المرأة يتوقف على نزع الأفكار الشريرة التي تضطرب في أعماق قلبها، هذه المرأة صورة صادقة للنفس المهزوزة التي تعيش على بقايا خربة في ذهن مريض؛ فأحداث الطفولة وتتابع الانفعالات النفسية التي تقوم على خيالات كانت من الأسباب التي أدت إلى اضطرابها.

هذه قصة فتاة في الثامنة والعشرين من العمر، مُطلقة من زوجها الأول ومخطوبة إلى رجل آخر، لها وجه صبوح ونظرات باسمة، ويُغطي وجهها حيوية نضرة وهي فنانة تمتهن صناعة النحت ونشطة، تذهب في

الصباح المُبكر إلى عملها فتقضي طيلة يومها في مجهود ذهني وجسماني كبير دون أن تشعر بالتعب أو الملل وضعت قضيتها أمامي فقالت بأنها تشكو ألمًا في ظهرها وأزمة قلبية حادة واضطراب في أعصابها وتنميل في جسمها.

حدثنا تاريخها فقال بأنها – وهي طفلة – كانت ترتدي ملابس الرجال فقد كانت تنظر إلى أزياء النساء كشيء يثير الاشمئزاز في نفسها وكانت تلعب ألعاب الأطفال الذكور، وكانت تكره ألعاب الإناث وكانت تعتقد أن أُمها تعاملها بجفاء فلا تقيم وزنًا لعواطفها أو شعورها، ومن جراء ذلك راحت تشعر بالألم، ولما بلغت السن راحت تقيم الصداقات مع النساء الأخريات.

وتقدم للفتاة خطاب كثيرون راحوا يتنافسون للحصول على يدها ولكنها كانت ترفضهم، الواحد بعد الآخر فكانت إذا تعرفت برجل سرعان ما نفرت منه وقطعت علاقتها به.

وعاشت من جديد وحدها، فقد كانت فكرة صداقة النساء تُسيطر على ذهنها وتملأ كيان عقلها، وأخيرًا تمت خطبتها على رجل كان يبدو أمامها لين الطبع ناعم المنظر جميل المظهر.

ومع أن الرجل كان يبدو أمامها دونها في المستوى العلمي والأدبي، إلا أنها صممت على الزواج به، ومع أنها كانت تعرف أن حبها له ضئيل لا يكفي أن يظلل عش الغرام ويقيم السعادة في بيت الزوجية، إلا أنها آثرت

أن يكون الرجل لها وصممت على الزواج، ومع ذلك أحست بشيء من الحزن العميق في قرارة نفسها.

وكان الزوج شبه عاطل وكانت هي نشطة، فكانت تخرج في الصباح المُبكر لتُؤدي واجبها اليومي، أما هو فكان نؤوم الضُحى يظل قابعًا في فراشه فلا يتركه حتى يتأكد من انتصاف النهار فيهم في خمول وكسل، ومع ذلك كانت تشعر بالسعادة والغبطة من خموله، بينما هي كالنحلة دائبة العمل.

وكانت إذا خرجت إلى عملها في الصباح ارتدت ملابس أشبه بملابس الرجال، لأن صناعة النحت لا تحتاج إلى زركشة الملابس، وكانت إذا خرجت معه في المساء اكتفت بارتداء الملابس البسيطة.

وكان يتنازع هذه المرأة عاطفتان، أو بمعنى آخر كانت شخصيتها تنقسم إلى نصفين، فقد كانت تحب زوجها حب العبادة، فتدخل دارها مُتلهفة عليه كثيرة الشوق إلى لقائه، وفي مرات أُخرى تحس ببغض شديد نحو ظله، لا تود الاقتراب منه.

وبمرور الزمن اتسعت تلك الهوة التي تفصل بين شخصيتها واتسع فارق الحب الممزوج بالبُغض له، وظهرت المرأة في نزاع شديد، وطبعا كان لهذا النضال النفسي أثر كبير على أعصابها فباتت تشعر بالتعب والأرق، وفي ثورة عاطفية صممت على الافتراق والطلاق منه.

ومع أنها كانت تعرف أنها بذلك الطلاق تُمزق أعصابها وتطعن قلبها، فحُبها الشديد له كان عنيفًا وقويًا، إلا أنها آثرت الافتراق، فقد رسخ في ذهنها أن الفنانة يجب أن تعيش لفنها وأن حُبها يجب أن تعطيه كله إلى المهنة النبيلة التي تمتهنها. ومع أنها افترقت عنه إلا أنها ظلت على صلة به، فكانت تتحدث معه كرجل إلى رجل، وكان النزاع العنيف بين الرغبة والرهبة، أعني بين الميل له والزهد فيه ما أثار كل العواصف في ذهنها وعمل على زيادة تحطيم شخصيتها، وأدى انقسام شخصيتها إلى النتائج الآتية:.

اللهفة الشديدة إلى شيء يحدوها لتهرب بنفسها من الواقع وتعيش في خيال، أو بمعنى آخر لتُحقق في الخيال ما عجزت لحصول عنه في الحقيقة فدأبت على المشروبات الروحية وراحت تتناولها بكثرة حتى أصبحت أسيرة عادتها، كما اتسعت الهوة التي تفصلها عن العالم فباتت تعيش في عُزلة، وبالتالي تمادت في شذوذها فأصبحت تصرفاتها وحركاتها وإيماءاتها غير عادية واشتد تعلقها بالنحت والفن، وكأن النحت والفن في ذهنها بمثابة قنطرة تقوم بين الخيال والحقيقة، أعني قنطرة تقرب بها وجهة التفاهم بينها وبين الناس، وكان أثر الكحول على نفسها أن مكنها بأن تخرج أحسن التابلوهات الفنية، ذلك لأن الكحول حجب العقل الواعي ومكنها من أن تغوص في أعماق العقل الباطن لتخرج الى الناس صورًا مُعبرة عن الفن العميق.

ولعبت الخيالات دورًا كبيرًا في نفسها، فقد كانت تتصور أنه يُمكن لها أن تُؤذي الآخرين وهذه الخيالات تدل على مرض السادزم أعني مرض القسوة الذي يجيش في صدرها، فقد تمكنت بفتنتها وجمالها من أن تغري شابًا من الطبقات الراقية، ثم راحت تنكل به أشد التنكيل وكان مرد ذلك إلى ما يجيش في خيالها من أنه يُمكن لها أن تُقدم الخير والشر في وقت واحد.

وبعد هذه المغامرة العاطفية أخرجت تمثالًا بديع الصُنع يُعبر في وقت واحد عن القسوة والحنان. ولقد قاست الكثير من حبها لأُمها، أعني أنها قاست مرارة عُقدة أوديب المقلوبة، فقد أحبت أمها من أعماقها ولكنها ظنت أنها لا تُبادلها الحب فانقلب حبها لأُمها إلى بُغض شديد.

ولقد ارتدت مظاهر هذا الانفعال النفساني بين الحب والبُغض، ارتدت على نفسها وعلى مُعاملتها لزوجها فباتت تحبه أشد الحب وتكرهه أشد الكراهية، وارتد هذا الانفعال أيضًا على مُغامراتها العاطفية في إغرائها للشاب الذي تعرفت عليه، فكانت تُقدم له الحب والبُغض في وقت واحد، وارتد كل ذلك على حياتها العملية فبدت كل لوحاتها الفنية تتمثل فيها مظاهر الحنان القوي ومظاهر الغلظة الشديدة.

أما أمراض الشذوذ الجنسي التي كانت تجيش في نفسيتها فقد عملت دورها في سبيل انهيارها النفسي، فهذه المرأة كان يحدوها ميل شديد لأن تتخلص من هذا المرض، وكان الوقت نفسه يحدوها نفس الميل في سبيل

التمتع بهذا المرض، ومن ثم باتت نفسيتها مسرحًا للنزاع الشديد بين رغبتين مُتضادتين، وقد ارتدت صورة هذه النفسية على حياتها العامة وعلى مُعاملتها لزوجها، فكانت تميل إلى زوجها لأنه يُمثل الرغبة التي تهدف إلى التخلص من الشذوذ الجنسي، بينما في الوقت نفسه كانت تكرهه لأنه يقف أمامها بمثابة حائل يحول دون ميولها الشاذة.

وكانت لا ترى غضاضة في العمل بحثًا عن لقمة العيش، بينما زوجها ينتظرها في البيت فقد كان في هذا التصرف مظهر الشذوذ، فهي في خروجها تُمثل الرجل الذي يكدح من أجل زوجته، بينما بقاء زوجها في الدار في انتظارها يُمثل المرأة في أجل معانيها.

وعندما انطفأت نفسها وعاشت في عُزلة تامة عن العالم راحت تلقي بنفسها في أحضان الماضي في عهد الطفولة، فباتت أشبه بالأطفال في تصرفاتها، تغريها الكلمات الخداعة التافهة وتغرها الألوان البراقة أكثر مما تغرها حقائق الأشياء، وقد انعكست هذه النزعات التي تجيش في نفسيتها على زوجها، فكانت تستكين إليه إذا تبسم لها فتعطيه كل حياتها، وكان إذا قطب حاجبيه وقفت أمامه في عناد وتحد.

وكانت تُعامل زوجها مُعاملة الأم لابنها، ومرد ذلك العودة إلى الماضي فالأطفال الإناث الصغار يحبون اللعب بالدُمى مُتخيلين أنفسهم أُمهات صغار، وهذه الدُمى بمثابة أطفالهم، ولقد انعكست تلك النزعات

النفسية على حياتها مع زوجها، فكانت تراه بمثابة الطفل الصغير الذي في حاجة إلى عطفها وحنانها.

ويجيش في صدر هذه الفتاة حب للمثاليات، وكان هذا هو الدافع القوي ليجعلها تعيش في عزلة، فقد رأت في العالم الذي حواليها وحوش، وأكد هذا الرأي أمامها تصرفات الذين حولها معها؛ فأمها تبغضها، وزوجها أناني، نؤوم الضحى يطمع في أن تطعمه، وزبائنها الذين يسخروها للعمل طوال اليوم مُقابل دراهم ناس لا يُقدرون الإنسانية.

ومن ثم بغضت هذا العالم الكريه، وكان يجيش في صدرها أحيانًا نزعات لأن تحطم التماثيل التي خلقتها.

أما خطيبها فيلح عليها سرعة الزواج، ولكنها كانت تتمنع لسببين، الأول: أنها تعطف عليه وتعتقد في نفسها أنها لن تكون زوجة صالحة له، ومن أجل العطف والإخلاص له راحت تُسوف حتى لا يقع في المأزق – والسبب الثاني أن خطيبها هذا رجل ثري ويريد منها أن تقلع عن فنها وهو كفيل بإيوائها، أما هي فلا ترى ما يرى، فقد استحوذ عليها المزاج الفني بشكل قوي.

أما مرض السادزم أو القسوة التي في قلب هذه الفتاة فمرده أبوها، فقد تعود أن يُعامل أطفاله بقسوة ويضربهم بغلظة وقد رسبت الشدة في نفس هذه الفتاة. ولما سلط ضوءًا قويًا على هذه الفتاة ظهر الخوف بأجل معانيه في نفسيتها. فقد ترددت في التحليل والعلاج، فهي تتمسك

بأمراضها وأوهامها وأحزانها وتخشى أن تفقد هذه الأمراض والأوهام والأحزان فتفقد المزاج الفني المُستمد من الأمراض والأوهام والأحزان، إن مرد هذه الاضطرابات النفسية الهزات التي تصيب الإنسان في حياته.

وفي القصة التالية تأكيد لما أقول، وهي لامرأة في ربيع الحياة مُتزوجة ولها ابنة ولكنها لا تحب زوجها ولا تحب ابنتها.. حدثتني عن نفسها فقالت بأنها كانت تعجب كل الإعجاب برجلها وهو خطيبها قبل أن يتزوجها، ولكن ليلة الدخلة كانت من الليالي البغيضة فكان جافًا في مُعاملته لها فبغضته، وعندما ولدت ابنتها أحست ببغض نحوها.

في هذه القصة نجد أن جفاف الرجل وعد تقديره لشعور زوجته قد أثار الحفيظة ضدها فانقلب الحب العنيف له إلى بُغض شديد، ذلك لأن مُعاملته لها في الليلة الأولى التي كانت خالية من عوامل اللياقة والأدب فكرهته وكرهت ابنته من أجله، ومع أن الرجل أصبح فيما بعد أكثر تهذيبًا وأكثر رقة وعاطفة إلا أن الزوجة عجزت عن أن تنسى فظاظته الأولى فغضبت عليه وكرهته وصبت كراهيتها على ابنتها هي الأخرى.

وقد تكره الأم أحيانًا ابنها قبل مجيئه إلى العالم، ويُفسر لنا ما نراه من أن كثير من النساء الحوامل يُصابون بدوار أو إغماء أو ميل للقيء في خلال الشهور الأولى من الحمل مرده ذلك أن في هذه الأشهر الأولى ينتاب المرأة ميل لعدم الحمل فتميل إلى القيء.

وهذا القيء يرمز إلى رغبة منها لتتخلص من الجنين الذي في بطنها، كما يتخلص الإنسان من الطعام الفاسد بتقيئه فلا عجب إذن أن ترى أمهات يخالفن غريزة الطبيعة بكرههن أولادهن.

وأذكر قصة شاب جاء يشكو لي همًا لازمه طول حياته مُنذ طفولته وحاولت مع الشاب أن أصل إلى السر الذي يزعج نفسه ولكني لم أتمكن، وفي يوم جاء لي ليقول بأنه اكتشف ذلك السر؛ فقد حدثته أمه بأنها كانت زاهدة فيه مُنذ ولادته وأنه جاء بالرغم منها، فقد كرهته قبل ولادته، وأن والده كان يُعاملها بقسوة، ومن أجل ذلك راحت تُفكر في الطلاق، ولكنها أحبته بعد الولادة وكانت شديدة التعلق به، فقد وضعت فيه آمالها التي فقدتها مع والده.

وأن مُعظم المُجرمين أطفال غير مرغوب فيهم، ولعلك لاحظت وأنت تكتب القصص للناس أو تقرأ الروايات أن أبطال الجريمة من اللقيطين أولاد الشوارع، فهؤلاء يتنازعهم الميل الإجرامي ويخرجون على الله وعلى المجتمع.

وعلى العموم فمرد الرجات النفسية والهزات العاطفية، الطفولة وأحداث الماضي.